صادقة من قبل الشاعر فى إثبات ولائه ، أو تسجيل انتمائه إلى ذاكرة أمته التى تضمن لها أصالتها ، وتحتفظ لها بجوهر تميُّزها التاريخى ، وإلا فليس من حق الفنان أن يحكم على ذاكرة أمته بالضعف ، أو أن يقذف بها إلى غياهب الضياع والتخلف ، أو أن يقبل لها ضرباً من التجهيل أو التنكير ، مما قد ينتهى - وهذا أخطر ما فى القضية - إلى تدهور الهوية التى لاينبغى لأمة ما أن تتنازل عنها بحال ، ولا تقبل التخاذل إزاءها تحت أي من الظروف .

وتلقانا قضية التراث كضرورة أولى لها الصدارة ، ومقوم أول من مقومات الحياة الأدبية ، فى أكثر من موقف ، ولدى أكثر من فئة دون أن يظل الأمر قصراً على منطقة الإبداع، إذ الأقرب إلى الدقة - حين نشغل بحقيقة الحياة الأدبية - أن نتوقف عند دور الأديب باعتبار ما فيه من مظاهر النقص الذى لا يكتمل إلا بدورَيْن آخرَيْن :

أولهما : دور الناقد ، **وثانيهما** : دور جمهوره من غير النقاد ، وعندئذ يبدو الأمر أقرب إلى البساطة ، إذ يتلقى هذا أو ذاك من أصالة أمته ما يأتيه به المبدع عبر معالجاته التراثية ، وعندها لا يتردد - مطلقاً - فى البحث عن ذاته ، حتى إذا ما استبطنها راح يزيد من وسائل تعرُّفه عليها ، ويندفع إلى مزيد من تأمُّلها ، أما بالنسبة للناقد فقد يظل الأمر فى حاجة إلى أكثر من وقفة ، ابتداء من تأمل جوهرية الفارق بينه وبين المبدع - من ناحية - وانتهاء عند طبيعة هذا الفارق الذى يميزه عن جمهور المتلقين - عموما - من ناحية أخرى .

ذلك أننا نسلم - بدايةً - أن المبدع « لابد أن يتميز بامتلاكه درجة ما من درجات العبقرية ، أو جانبا من جوانب تلك الموهبة الغامضة التى يتعذر على الآخرين خارج دائرة الإبداع - بالطبع - الإلمام بها ، مما يذكرنا بقول أحد الفرنسيين فى القرن السابع عشر أنه لايكفى أن تكون للمرء مواهب عظيمة ، وإنما ينبغى أن يعرف كيف يديرها ، وعلى الرغم من أن الإنسان لاخيار له فى عبقريته ، إلا أنه يظل يملك هذا الخيار فى توجيهها نحو غاية إنسانية[1] » . ومعنى هذا أن ثمة ألوانا من الموهبة التى تسهم فى الاقتراب من الكمال ، سواء تم ذلك من خلال الإبداع أو النقد ، إذا ما وضعنا في الاعتبار أن الناقد - فى أفضل صورة له - يعد قادرا على الانتماء إلى عالم الإبداع ، لأنه يحاول خلق المعايير التى ترتقى به وبجمهوره وبالفنان أيضا ، دون أن ينتهى الأمر إلى الهبوط بأى من مقومات الإبداع ، ومن

(١) ويلبرس سكوت : خمسة مداخل إلى النقد الأدبى (مقالة بابيت ، العبقرية والذوق) ص ٤٣ .